بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلام

٣٥

أسدُ الله

حمزة بن عبد المطَّلب

رضي الله عنه

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بن عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَإِمَامِ المُتَّقِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْد:

فَإِنَّ عَدَداً مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَعِيشُوا فِي الدَّعْوَةِ كَثِيراً وَلَمْ يَنْعَمُوا فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ طَوِيلاً وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانُوا لَبِنَةً قَوِيَّةً فِي صَرْحِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ الَّتِي قَامَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ بِجُهُودِ أُولَئِكَ النَّفَرِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَمِنْ هَؤُلاَءِ الحَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ الَّذِي لَمْ تَطُلْ حَيَاتُهُ فِي الإِسْلاَمِ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ لَهُ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي ذَلِكَ البِنَاءِ الشَّامِخِ الَّذِي شَادَهُ الإِسْلاَمُ، وَذَلِكَ مِنْ نَعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمَا وَهَبَهُ مِنْ قُوَّةٍ، وَمَا مَنَحَهُ مِنْ شَجَاعَةٍ، وَمَا أَعْطَاهُ مِنْ ثَبَاتِ القَلْبِ، وَمَا مَنَّ عَلَيْهِ

مِنَ الصِّدْقِ وَالإخْلاَصِ . وَلَقَدْ أَكْرَمَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَاخْتَارَهُ شَهِيداً وَاتَّخَذَ مِنْهُ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحَمْزَةُ هُوَ العَمُّ المُسْلِمُ الأَوَّلُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَفَاهُ ذَلِكَ فَخْرَاً. وَلَمْ يُسْلِمْ مِنْ عُمُومَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِوَى اثْنَيْنِ هُمَا: الحَمْزَةُ وَالعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَهُوَ أَخٌ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الرَّضَاعَةِ، وَفِي ذَلِكَ شَرَفٌ عَظِيمٌ لَهُ. إِذْ أَرْضَعَتْهُمَا ثُوَيْبَةُ جَارِيَةُ أَبِي لَهَبٍ أَخِي الحَمْزَةَ مِنْ أَبِيهِ، وَعَمٌ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ نَالَهَا بِذَلِكَ حَظٌّ كَبِيرٌ بِتِلْكَ الرَّضَاعَةِ. وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ.

أَبُوهُ عَبْدُ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ سَيِّدُ قُرَيْشٍ دُونَ مُدَافِعٍ، وَأَحَدُ أَعْلاَمِ العَرَبِ يَومَذَاكَ.

وَأُمُّهُ هَالَةُ بِنْتُ أُهَيْبِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلاَبِ ابنِ مُرَّةَ، فَهِيَ بِنْتُ أَحَدِ سَادَاتِ زُهْرَةَ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمٍّ آمِنَةَ بِنْتِ وَهَبٍ أُمٍّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَمَّةُ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أُخْتُ أَبِيهِ.

وُلِدَ الحَمْزَةُ قَبْلَ عَامِ الفِيلِ بِأَرْبَعِ سَنَوَاتٍ أَيْ قَبْلَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعَةِ أعوامٍ ، وَذَلِكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَكَانَ لاَ يَزَالُ صغيراً عِنْدَمَا وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَضِعَ مِثْلَهُ مِنْ ثُوَيْبَةَ.

نَشأَ فِي كَنَفِ وَالِدِهِ السَّيِّدِ المُطَاعِ الَّذِي لَمْ يَلْبَثْ أَنْ فَارَقَ الحَيَاةَ فَعَاشَ الحَمْزَةُ فِي رِعَايَةِ إخْوَتِهِ الَّذِينَ هُمْ أَكْبَرُ مِنْهُ. وَهُوَ أَصْغَرُ أَوْلاَدِ عَبْدِ المُطَّلِبِ لِذَا كَانَ مَوْضِعَ اهْتِمَامِهِمْ جَمِيعاً وَخَاصَّةً أَنَّ وَالِدَهُ قَدْ تُوفِّيَ[1]. فَنَشأَ غَيْرَ مَسْؤُولٍ عَنْ شَيْءٍ، فَإخْوَتُهُ يَكْفُلُونَ أَمْرَهُ، وَهُوَ مُنْصَرِفٌ إِلَى شُؤُونِهِ الخَاصَّةِ.

وَشَقِيقَتُهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَهِيَ الوَحِيدَةُ مِنْ بَيْنِ عَمَّاتِ[2] رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السِّتِّ الَّتِي أَسْلَمَتْ، وَإِنِ اخْتُلِفَ فِي إِسْلاَمِ بَعْضِهِنَّ.

---

(١) إخوة الحمزة: الزبير، وأبو طالب، وعبد الله أشقاء، وبنات عبد المطلب كلهن شقيقات لهم عدا صفية.
العباس، وضرار أشقاء.
المقوم، وحجل، والحمزة أشقاء.
والحارث.
وعبد العزى (أبو لهب).

(٢) عمّات رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: عاتكة، وأميمة، وأروى، وبرّة، وأم حكيم البيضاء، وهنّ شقيقات، وصفيّة.

زَوْجَاتُهُ وَأَوْلاَدُهُ

تَزَوَّجَ الحَمْزَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثَلاَثَ نِسْوَةٍ هُنَّ:

أً - بِنْتَ المِلَّةِ بن مَالِكٍ مِنَ الأَوْسِ مِنَ المَدِينَةِ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ:

١ - يَعْلَى وَبِهِ يُكَنَّى. وَقَدْ كَانَ لِيَعْلَى مِنَ الأَوْلاَدِ: عُمَارَةُ، وَالفَضْلُ، وَالزُّبَيْرُ، وَمُحَمَّدُ، وَعَقِيلُ، وَقَدْ مَاتُوا صِغَاراً.

٢ - عَامِراً وَمَاتَ صَغِيراً.

٢ً - خَوْلَةَ بِنْتَ قَيْسٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنَ الخَزْرَجِ مِنَ المَدِينَةِ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ:

١ - عُمَارَةَ، وَقَدْ كَانَ يُكَنَّى بِهِ أَيْضاً.

٣ً - سَلْمَى بِنْتَ عُمَيْسٍ الخَثْعَمِيَّةَ، أُخْتَ أَسْمَاء بِنْتَ عُمَيْسٍ زَوْجَ جَعْفَرَ بن أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ عَلِيٍّ. وَأَنْجَبَتْ لَهُ:

١ - أُمَامَةَ: وَهِيَ الَّتِي اخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ، وَجَعْفَرُ، وَزَيْدٌ.

وَبِذَا لَمْ يَبْقَ لِلحمزة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَقِبٌ.

إسْلاَمُ حَمْزَةَ

بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَدَأَ يَدْعُو قَوْمَهُ، وَعَادَتْهُ قُرَيْشٌ، وَضَجَّتْ أَنْدِيَتُهَا بِأَخْبَارِ مَا يَجْرِي عَلى سَاحَتِهَا، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ المُتَغَطْرِسِينَ، وَحَمْزَةُ فِي شُغُلٍ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ يَخْرُجُ إِلَى الصَّيْدِ، وَيَعُودُ مِنْهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالكَعْبَةِ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ عَلَى نَادٍ مِنْ أَنْدِيَةِ قُرَيْشٍ إِلاَّ وَقَفَ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ، هَكَذَا كَانَ يَوْمُهُ، وَكَذَا كَانَتْ أَكْثَرُ أَيَّامِهِ، وَكَانَ أَعَزَّ فَتىً فِي قُرَيْشٍ وَأَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً.

وَمَرَّ أَبُو جَهْلٍ يَوْماً مِنْ قُرْبِ الصَّفَا وَمَعَهُ عَدِيُّ بنُ الحَمْرَاءِ وَابْنُ الأَصْدَاءِ فَلَقُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَآذَاهُ أَبُو جَهْلٍ وَشَتَمَهُ وَنَالَ مِنْهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ مِنَ العَيْبِ لِدِينِهِ وَالتَّضْعِيفِ لأَمْرِهِ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَوْلاَةٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بن جَدْعَانَ فِي مَسْكَنٍ لَهَا هُنَاكَ تَسْمَعُ ذَلِكَ وَتَرَى. وَانْصَرَفَ أَبُو جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الكَعْبَةِ، فَعَمَدَ إِلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ هُنَاكَ فَجَلَسَ مَعَهُمْ.

لَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ الحَمْزَةُ مُتَوَشِّحاً قَوْسَهُ رَاجِعاً مِنْ صَيْدِهِ، فَلَمَّا مَرَّ بِالْقُرْبِ مِنْ مَسْكَنِ مَوْلاَةِ عَبْدِ اللَّهِ بن جَدْعَانَ قَالَتْ

لَهُ: يَا أَبَا عُمَارَةَ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابنُ أَخِيكَ مِنْ أَبِي الحَكَمِ بنِ هِشَامٍ، وَجَدَهُ جَالِساً هَا هُنَا فَآذَاهُ وَسَبَّهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، وَلَمْ يُكَلِّمْهُ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

أَخَذَ الغَضَبُ مِنَ الحَمْزَةِ كُلَّ مَأْخَذٍ، وَعَدَّ هَذَا إهَانَةً لَهُ وَتَحَدِّيَاً بَلْ إِذْلاَلاً لِبَنِي هَاشِمٍ جَمِيعاً، وَفِي هَذَا عَارٌ كَبِيرٌ، لِذَا لاَ بُدَّ مِنَ النَّيْلِ مِنْ أَبِي جَهْلٍ وَإِيقَافِهِ عِنْدَ حَدِّهِ وَالأَخْذِ بِالثَّأْرِ خَوْفَاً مِنَ التَّمَادِي فِي غَيِّهِ وَالاسْتِمْرَارِ فِي تَصَرُّفِهِ السَّيْءِ الَّذِي لاَ يَكُونُ مِنْ نَتَائِجِهِ سِوَى الحَطِّ مِنْ شَأْنِ بَنِي هَاشِمٍ وَتَطَاوُلِ القَبَائِلِ وَبَقِيَّةِ البُطُونِ القُرَيْشِيَّةِ عَلَيْهِمْ. وَكَانَ هَذَا سَبَبَاً لِكَرَامَةٍ يُرِيدُهَا اللَّهُ لِلْحَمْزَةِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ.

أَسْرَعَ الحَمْزَةُ إِلَى الكَعْبَةِ، وَدَخَلَ المَسْجِدَ دُونَ أَنْ يَمُرَّ عَلَى أَحَدٍ أَوْ يُكَلِّمَ أَحَداً وَرَأَى أَبَا جَهْلٍ جَالِسَاً مَعَ القَوْمِ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُمْ، وَاقْتَرَبَ مِنْهُمْ فَلَمْ يُلْقِ سَلاَمَاً، وَدَهِشَ الحُضُورُ، وَاتَّجَهُوا بِأَنْظَارِهِمْ إِلَيْهِ، وَسَارَ إِلَى أَبِي جَهْلٍ وَوَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ وَأَدَارَ أَبُو جَهْلٍ رَأْسَهُ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ مَاذَا يَفْعَلُ! وَالشُّهُودُ يَنْظُرُونَ، فَضَرَبَ الحَمْزَةُ بِقَوْسِهِ رَأْسَ أَبِي جَهْلٍ

---

(١) سيرة ابن هشام.

ضَرْبَةً قَوِيَّةً فَشَجَّهُ، وَقَالَ لَهُ: أَتَشْتُمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ، أَقُولُ مَا يَقُولُ. فَرُدَّ عَلَيَّ إن اسْتَطَعْتَ الرَّدَّ، وَانْتَصِفْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ. وَتَعَجَّبَ الحُضُورُ مِنْ سُكُوتِ أَبِي جَهْلٍ، فَقَدْ أَوْقَعَ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ الخَوْفَ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ الكَثِيرُ مِنَ الجُبْنِ وَالذُّلِّ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِحَرْفٍ. وَقَامَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ يُرِيدُونَ نَصْرَهُ والانْتِصَافَ مِنَ حَمْزَةَ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو جَهْلٍ: دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَبَبْتُ ابنَ أَخِيهِ سَبّاً قَبِيحاً.

وَيَبْدُو أَنَّ حَمْزَةَ قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا قَالَ «أَنَا عَلَى دِينِهِ» أَيْ أَعْلَنَ إسْلاَمَهُ، فَهَلْ يَتَرَاجَعُ وَيَظْهَرُ أَمَامَ قَوْمِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ صَادِقاً وَأَنَّهُ قَدْ قَالَ ذَلِكَ فِي حَالَةٍ مِنَ الغَضَبِ وَكَرَدِّ فِعْلٍ، أَمْ يُعْلِنُ إسْلاَمَهُ وَيَسِيرُ فِي هَذَا الدَّرْبِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْ بَعْدُ، وَلَمْ يَدْخِلِ الإيمَانُ إلَى قَلْبِهِ؟ يَقُولُ الحَمْزَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ نَفْسِهِ: لَمَّا احْتَمَلَنِي الغَضَبُ وَقُلْتُ: (أَنَا عَلَى قَوْلِهِ) أَدْرَكَنِي النَّدَمُ عَلَى فِرَاقِ دِينِ آبَائِي وَقَوْمِي، وَبِتُّ مِنَ الشَّكِّ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ لاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ الكَعْبَةَ وَتَضَرَّعْتُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَشْرَحَ صَدْرِي لِلْحَقِّ وَيُذْهِبَ عَنِّي الرَّيْبَ، فَمَا اسْتَتَمْتُ دُعَائِي حَتَّى زَاحَ عَنِّي البَاطِلَ وَامْتَلأَ قَلْبِي يَقِيناً فَغَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا كَانَ مِنْ

أَمْرِي فَدَعَا لِي أَنْ يُثَبِّتَنِي اللَّهُ، وَقَالَ حَمْزَةُ حِينَ أَسْلَمَ أَبْيَاتاً، مِنْهَا:

حَمِـدْتُ اللَّـهَ حِينَ هَدَى فُؤَادِي
إِلَـى الإِسْـلامِ وَالـدِّينِ الحَنِيفِ
لِـدِينٍ جَاءَ مِنْ رَبٍّ عَزِيزٍ
خَبِيرٍ بِالعِبَـادِ بِهِـمْ لَطِيفِ
إِذَا تُلِيَتْ رَسَائِلُـهُ عَلَيْنَا
تَحَـدَّرَ دَمْـعُ ذِي اللُّـبِّ الحَصِيفِ
رَسَائِـلُ جَاءَ أَحْمَـدُ مِنْ هُدَاهَا
بِـآيَاتٍ مُبَيَّنَـةِ الحُرُوفِ

فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ عَزَّ وَامْتَنَعَ، وَأَنَّ حَمْزَةَ سَيَمْنَعُهُ لِقُوَّتِهِ وَشَهَامَتِهِ وَاعْتِزَازِهِ فَكَفُّوا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ. وَأَصْبَحَ حَمْزَةُ يَحْضُرُ فِي دَارِ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعِنْدَمَا كَتَبَ اللَّـهُ لِعُمَرَ بـنِ الخَطَّابِ الخَيْرَ أَنَارَ قَلْبَـهُ لِلإِيْمَانِ فَقَرَأَ الصَّحِيفَةَ الَّتِي كَانَتْ مَعَ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ وَقَدْ أَخْفَتْهَا خَوْفاً مِنْهُ حَتَّى إِذَا ضَرَبَهَا عَلَى إِيمَانِهَا أَخْرَجَتْهَا مُتَحِـدِّيَةً لَهُ،

وَسَأَلَ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ خَبَّابُ الَّذِي كَانَ مُخْتَبِئاً أَيْضاً فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ فَرَقاً مِنْ عُمَرَ، وَكَانَ يُعَلِّمُهَا وَزَوْجَهَا سَعِيدَ بنَ زَيْدٍ، ابنَ عَمِّهَا، وَنُعَيْمَ بنَ عَبْدِ اللَّهِ القُرْآنَ، وَدَلَّ خَبَّابُ عُمَرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَنَّهُ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، مَعَهُ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابِهِ فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ البَابَ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ البَابِ، فَرَآهُ مُتَوَشِّحاً السَّيْفَ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فَزِعٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ مُتَوَشِّحاً السَّيْفَ، فَقَالَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ: فَأْذَنْ لَهُ، فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْراً بَذَلْنَاهُ لَهُ، وَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ شَرّاً قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ائْذَنْ لَهُ. فَأَذِنَ لَهُ الرَّجُلُ، وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، وَأَسْلَمَ عُمَرُ.

وَعَزَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَمْرِ اللَّهِ بِإِسْلَامِ

(١) سيرة ابن هشام.

حَمْزَةَ وَعُمَرَ إذْ كَانَا بِجَانِبِهِ، وَاحْتَمَلَ حَمْزَةُ كَمَا احْتَمَلَ غَيْرُهُ الأَذَى النَّفْسِيَّ وَالحَرْبَ النَّفْسِيَّةَ والاقْتِصَادِيَّةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ مُدَّةَ بَقَائِهِ فِي مَكَّةَ.

فِي المَدِينَةِ

وَأُذِنَ بِالهِجْرَةِ، وَبَدَأَ المُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ يَأْخُذُونَ طَرِيقَهُمْ إِلَى المَدِينَةِ أَفْرَاداً وَجَمَاعَاتٍ، بَعْضُهُمْ سِرّاً مُتَخَفِّياً مِنْ أَهْلِهِ وَخَائِفاً مِنْ قُرَيْشٍ، وَبَعْضُهُمْ عَلَناً مُعْتَزّاً بِإِسْلاَمِهِ وَمُتَحَدِّياً لِقُرَيْشٍ وَلِلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ وَمِنْ هَؤُلاَءِ حَمْزَةُ وَعُمَرُ وَعَدَدٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَصَلَ حَمْزَةُ إِلَى المَدِينَةِ وَنَزَلَ عَلَى كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ، وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ.

وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي المَدِينَةِ آخَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَآخَى بَيْنَ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَبَيْنَ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ[1].

---

(١) كانت المؤاخاة بين المسلمين ولم تكن بين المهاجرين والأنصار كما هو شائع فهاهما أخوان مهاجران حمزة وزيد، رضيّ الله عنهما.
وكانت المؤاخاة مؤاخاةً في الإسلام لترسيخ معنى الأخوة لا لأسباب اقتصادية كما هو شائع فيجب الانتباه إلى ذلك. يرجع إلى سلسلة التاريخ الإسلامي الجزء الثاني.

وَقَامَتْ دَوْلَةُ الإِسْلَامِ فِي المَدِينَـةِ، وَكَانَ عَلَيْهَـا أَنْ تُبَيِّنَ قِيَامَهَا، وَتُثْبِتَ كِيَانِهَا بِبَثِّ السَّرَايَا فِي مَنَازِلِ القَبَائِلِ المُحِيطَةِ بِالمَدِينَةِ وَفِي أَرَاضِي تِلْكَ الجِهَاتِ حَتَّى تَعْلَمَ القَبَائِلُ بِمَا تَمَّ، وَتَعْرِفَ مَاذَا حَدَثَ دَاخِـلَ عَاصِمَـةِ الدَّوْلَـةِ الجَـدِيدَةِ، وَفِـي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَإِنَّ هَذِهِ السَّـرَايَا تَدْرُسُ الأَرْضَ الَّتِـي تَجُـوسُ خِلاَلَهَا وَتَتَحرَّكُ فَوْقَهَا فَإِنَّ عَلَى سَاحَتِهَا سَتَكُونُ أَحْدَاثٌ، إِذْ أَنَّ قُرَيْشاً لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يُزْعِجَهَا قِيَامُ دَوْلَةِ الإِسْلَامِ وَسَتَعْمَلُ عَلَى خَنْقِهَا قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ سَاعِدُهَا، لأَنَّهَا قَدْ قَامَـتْ عَلَـى كَوَاهِـلِ الفَارِّينَ مِنْ بَطْشِهَا وَالمُغَادِرِينَ دِيَارَهَا مِنْ ظُلْمِهَـا، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ هَذِهِ الأَرْضَ هِيَ مَجَالُ حَرَكَةِ قَوَافِلِ قُرَيْشٍ الذَّاهِبَةِ إِلَى الشَّامِ وَالآيِبَةِ مِنْهَـا، وَلاَ تُرِيدُ قُرَيْشٌ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ البُقْعَـةُ تَحْتَ حِمَايَةِ أَعْدَائِهَا وَمَكَانِ نُفُوذِهِمْ لِذَا يَجِـبُ أَنْ تُزِيحَهُـمْ عَنْهَـا بِكُلِّ مَا أَمْكَنَهَـا مِنْ وَسَائِـلَ، وَمِـنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ فَإِنَّ المُسْلِمِينَ الَّـذِينَ غَادَرُوا دِيَارَهُـمْ فِي مَكَّةَ فَسَطَـتْ عَلَيْهَـا قُرَيْشٌ، وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ فَانْتَهَبَتْهَا الجَاهِلِيَّةُ، كَمَا حَالَ الكُفَّارُ فِي مَكَّةَ بَيْنَ مَنْ بَقِيَ مِنَ المُسْلِمِينَ فِيهَا وَبَيْنَ الهِجْرَةِ، فَعَاشَ هَؤُلاَءِ تَحْتَ الإِقَامَةِ الجَبْرِيَّةِ فِي ظِلِّ الظُّلْـمِ وَتَحْـتَ وَاقِـعِ الأَذَى، يُحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الحَيَاةِ مَعَ إِخْوَانِهِمْ فِي المَدِينَـةِ، فَإِنْ وَقَعَتْ فِي أَيْدِي المُسْلِمِينَ فِي المَدِينَةِ قَافِلَةٌ لِقُرَيْشٍ لاَ بُدَّ

لَهُمْ مِنْ أَنْ يَأْخُذُوهَا كَشَيءٍ مِنَ التَّعْوِيضِ عَمَّا فَقَدُوهُ وَعَمَّا وَضَعَتِ الجاهِلِيَّةُ يَدَهَا عَلَيْهِ.

انْطَلَقَتِ الغَزَوَاتُ وَالسَّرَايَا تَجُوسُ تِلْكَ الدِّيَارِ، فَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَزْوَةَ (وَدَّانَ)، وَتُسَمَّى غَزْوَةَ (الأَبْوَاءِ) أَيْضاً، بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، وَلَمْ يَجِدْ كَيْدَاً وَقَدْ وَادَعَ بَنِي ضَمْرَةَ.

وَأَرْسَلَ عُبَيْدَةَ بنَ الحَارِثِ فِي ثَمَانِينَ رَاكِبَاً مِنَ المُهَاجِرِينَ إِلَى مَاءٍ بِالحِجَازِ، وَقَدْ لَقِيَ جَمْعَاً عَظِيماً مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ يَجْرِ قِتَالٌ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، غَيْرَ أَنَّ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَدْ رَمَى يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ. وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ بَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَمْزَةَ إِلَى سيفِ البَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ العِيصِ فِي ثَلاَثِينَ رَاكِبَاً مِنَ المُهَاجِرِينَ. وَكَانَتْ سَرِيَّةُ الحَمْزَةِ وَسَرِيَّةُ عُبَيْدَةَ فِي آنٍ وَاحِدٍ لِيَتَنَاقَلَ الأَعْرَابُ أَخْبَارَ السَّرَايَا الإِسْلاَمِيَّةِ وَكَثْرَتَهَا وَهِيَ تَتَّجِهُ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَكُلُّهَا مِنَ المُهَاجِرِينَ وَهَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى القُوَّةِ وَالكَثْرَةِ. وَلَقِيَ الحَمْزَةُ أَبَا جَهْلٍ فِي ثَلاثِمِائَةِ رَاكِبٍ أَيْ عَشْرَةُ أَمْثَالِ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَعَ الحَمْزَةِ فِي العَدَدِ، وَكَانَ هَذَا اللِّقَاءُ بَيْنَ أَحَدِ وُجُوهِ المُسْلِمِينَ وَصَنَادِيدِهِمْ وَبَيْنَ أَحَدِ رُؤُوسِ المُشْرِكِينَ وَجَبَابِرَتِهِمْ، وَأَظْلَمَ المَوْقِفُ، وَأَصَرَّ

حَمْزَةُ عَلَى القِتَالِ رَغْمَ قِلَّةِ من مَعَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى المُشْرِكِينَ إِذْ شَعَرَ أَنَّهُ أَقْوَى مِنْ جُنُودِ الأَرْضِ جَمِيعاً لِمَا يَحْمِلُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ إِيمَانٍ. غَيْرَ أَنَّ مَجْدِيَّ بنَ عَمْرٍو الجُهَنِيَّ حَجَزَ بَيْنَهُمَا وَكَانَ مُوَادِعاً لِلطَّرَفَيْنِ، فَانْصَرَفَ بَعْضُ القَوْمِ عَنْ بَعْضٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ.

فِي بَدْرٍ

انْتَهَتْ مَرْحَلَةُ الاسْتِطْلَاعِ، وَانْتَهَتْ مَرْحَلَةُ إِثْبَاتِ الكَيَانِ، وَانْتَهَتْ مَرْحَلَةُ الاسْتِعْدَادِ وَشَحْذِ الهِمَمِ، وَانْتَهَتْ مَرْحَلَةُ التَّحَرُّشِ بَعْدَ سَرِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ، حَيْثُ جَرَى فِيهَا قَتْلٌ وَاسْتِيلَاءٌ عَلَى تِجَارَةٍ لِقُرَيْشٍ، وَجَاءَ الإِذْنُ بِالقِتَالِ فَعَمَدَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى المُوَاجَهَةِ، وَالبَدْءِ بِأَخْذِ القَوَافِلِ، فَقَرَّرَ التَّعَرُّضَ لِقَافِلَةِ أَبِي سُفْيَانَ الذَّاهِبَةِ إِلَى الشَّامِ غَيْرَ أَنَّهَا قَدْ فَاتَتْهُ، فَوَضَعَ رِجَالاً يَتَرَصَّدُونَهَا حِينَ العَوْدَةِ.

وَعَادَتِ القَافِلَةُ، وَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَدَبَ المُسْلِمِينَ لِلْخُرُوجِ لَهَا، فَخَفَّ بَعْضُهُمْ وَثَقُلَ بَعْضُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَلْقَى حَرْباً.

خَرَجَ ثَلاَثُمِائَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِنَ المُسْلِمِينَ، مِنْهُمْ ثَلاَثَةٌ وَثَمَانُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَمِائَتَانِ وَوَاحِدٌ وَثَلاَثُونَ مِنَ الأَنْصَارِ، وَكَانَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ مِنْ طَلِيعَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا. وَكَانَتْ حَالَتُهُمْ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهِمْ بِمِقْيَاسِ المَادَّةِ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ معهم سِوَى ثَلاَثَةِ جِيَادٍ هِيَ لِلزُّبَيْرِ، وَالمِقْدَادِ، وَمَرْثَدٍ، وَسَبْعِينَ بَعِيراً. يَعْتَقِبُ كُلُّ عَدَدٍ مِنْهُمْ وَاحِداً مِنْهَا. فَكَانَ حَمْزَةُ، وَزَيْدٌ، وَأَبُو كَبْشَةَ، وَأَنَسَةَ يَعْتَقِبُونَ بَعِيراً، وَعُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وَأَبُو بَكْرٍ يَعْتَقِبُونَ بَعِيراً. وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلِيٌّ، وَمِرْثَدُ يَعْتَقِبُونَ بَعِيراً. أَمَّا مِنَ النَّاحِيَةِ المَعْنَوِيَّةِ فَهُمْ أَقْوَى مِنَ الأَرْضِ كُلِّهَا بِإِيمَانِهِمْ، وَمَكَانَتِهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَهُمْ أَكْثَرُ وَزْناً مِنَ الجِبَالِ الرَّوَاسِي تَكَادُ الأَرْضُ تَنْحَنِي تَحْتَهُمْ لِثِقْلِهِمْ، تَكْلَؤُهُمْ عَيْنُ اللَّهِ، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مَخْلُوقَاتُهُ فِي المَلأِ الأَعْلَى.

وَعَلِمَ أَبُو سُفْيَانَ بِخُرُوجِهِمْ فَغَيَّرَ طَرِيقَهُ وَنَجَا بِقَافِلَتِهِ وَأَنْبَأَ قُرَيْشاً فَخَرَجَتْ تَحْمِي قَافِلَتَهَا، وَتَنْصُرُ رِجَالَهَا، وَتَثْأَرُ مِمَّا لَحِقَهَا، وَتَقْضِي عَلَى عَدُوِّهَا، وَالْتَقَى الخَارِجُونَ لِلْقَافِلَةِ مَعَ الخَارِجِينَ لِلْقِتَالِ، وَتَوَاجَهَ الذَّاهِبُونَ لِلْعِيرِ مَعَ المُسْتَعِدِّينَ لِلنِّزَالِ، وَاصْطَدَمَ أَصْحَابُ الإِمْكَانَاتِ وَالطَّاقَاتِ مَعَ النَّفَرِ

الفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَيْسَتْ لَدَيْهِمْ أَيَّةُ إِمْكَانَاتٍ، وَتَقَابَلَتِ القِلَّةُ القَلِيلَةُ مَعَ الكَثْرَةِ الكَثِيرَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِتَدْبِيرِ اللَّهِ وَتَهْيِئَتِهِ لِيَمْحَقَ الكَافِرِينَ، وَلِيُبْطِلَ البَاطِلَ، وَلِيُبَيِّنَ أَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ وَلَيْسَ لِلْبَشَرِ مِنْ شَيْءٍ مَهْمَا كَثُرَ عَدَدُهُمْ، أَوْ تَعَاظَمَ سِلاَحُهُمْ، أَوْ ضَخُمَتْ إِمْكَانَاتُهُمْ. وَعِنْدَمَا وَقَفَ الطَّرَفَانِ وَجْهاً لِوَجْهٍ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ تَكَافُؤٍ فِي مِيزَانِ الأَرْضِ وَحِسَابِ أَهْلِ الأَرْضِ غَيْرَ أَنَّ حِسَابَ السَّمَاءِ غَيْرُ حِسَابِ الخَلْقِ، وَمَا هِيَ إِلاَّ جَوْلَةٌ حَتَّى ظَهَرَ الحَقُّ وَانْدَحَرَ البَاطِلُ بِجُمُوعِهِ وَسِلاَحِهِ وَطَاقَاتِهِ وَأَيْقَنَ سَاعَتَئِذٍ أُولُو الأَلْبَابِ أَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ، وَلاَ صِحَّةَ أَبَداً لِمَا يَقِيسُ بِهِ أَهْلُ الأَرْضِ، وَمَا يَزِنُونَ بِهِ، وَمَا يُطْلِقُونَ أَحْكَامَهُمْ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا التَقَى الجَمْعَانِ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ المُشْرِكِينَ الأَسْوَدُ بنُ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُومِيُّ، وَكَانَ رَجُلاً شَرِساً سَيِّءَ الخُلُقِ، فَقَالَ: أُعَاهِدُ اللَّهَ لأَشْرَبَنَّ مِنْ حَوْضِهِمْ أَوْ لأَهْدِمَنَّهُ، أَوْ لأَمُوتَنَّ دُونَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً فَأَصَابَتْ سَاقَهُ فَأَطَاحَتْ بِهَا مَعَ القَدَمِ فَوَقَعَ يَنْزِفُ دَمُهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَخَذَ يَحْبُو نَحْوَ الحَوْضِ يُرِيدُ أَنْ يَبَرَّ بِقَسَمِهِ ـ حَسْبَ زَعْمِهِ ـ فَضَرَبَهُ حَمْزَةُ ضَرْبَةً أُخْرَى قَضَتْ عَلَيْهِ.

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ المُشْرِكِينَ عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ وَابْنِهِ الوَلِيدِ بنِ عُتْبَةَ فَدَعَا إِلَى المُبَارَزَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِتْيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ، وَعَوْفُ بنُ الحَارِثِ، وَمُعَوِّذُ بنُ الحَارِثِ. فَقَالَ عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: فِتْيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَكْفَاءٌ كِرَامٌ، مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ، إِنَّمَا نُرِيدُ قَوْمَنَا. ثُمَّ نَادَى: يَا مُحَمَّدُ أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بنُ الحَارِثِ، قُمْ يَا حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، قُمْ يَا عَلِيٌّ. فَقَامُوا، وَدَنَوْا مِنْهُمْ، قَالَ عُتْبَةُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَانْتَسَبُوا لَهُ؛ قَالَ: نَعَمْ، أَكْفَاءٌ كِرَامٌ. فَبَارَزَ عُبَيْدَةُ عُتْبَةَ، وَحَمْزَةُ شَيْبَةَ، وَعَلِيٌّ الوَلِيدَ. وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلَ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ صَاحِبَيْهِمَا، وَاخْتَلَفَ عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ ضَرْبَتَيْنِ بَيْنَهُمَا، كِلاَهُمَا أَثْبَتَ صَاحِبَهُ، وَكَرَّ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ بِأَسْيَافِهِمَا عَلَى عُتْبَةَ فَقَتَلاَهُ وَحَمَلاَ عُبَيْدَةَ إِلَى صُفُوفِ المُسْلِمِينَ.

ثُمَّ تَزَاحَفَ النَّاسُ وَاشْتَبَكَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، وَلَفَّتْ رِيحُ الحَرْبِ المُشْرِكِينَ لَفَّةً وَاحِدَةً فَأَلْقَتْ سَبْعِينَ قَتِيلاً مِنْهُمْ، وَرَمَتْ مِثْلَهُمْ بِأَيْدِي المُسْلِمِينَ.

لَقَدْ كَانَ حَمْزَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَتَحَرَّكُ إِلَى كُلِّ مَوْقِعٍ

فَيُثْخِنُ فِي المُشْرِكِينَ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ فَيَقْتُلُ مَنْ يَجِدُهُ أَمَامَهُ مِنَ الأَعْدَاءِ، وَيَنْثَنِي إِلَى جِهَةٍ ثَانِيَةٍ لِيُشَارِكَ فِي قَتْلِ المُشْرِكِينَ إِنْ وَجَدَ الأَمْرَ يَحْتَاجُ إِلَى مَعُونَةٍ. لَقَدْ قَتَلَ سِتَّةً مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَشَارَكَ فِي قَتْلِ خَمْسَةٍ آخَرِينَ.

وَلَقَدْ أَسَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ يَوْمَذَاكَ أُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ وَابْنَهُ عَلِيّاً[1]، فَقَالَ أُمَيَّةُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: مَنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ المُعَلَّمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ؟ فَقَالَ لَهُ: حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ؛ قَالَ: ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الأَفَاعِيلَ.

وَبَعْدَ بَدْرٍ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَقَضَ بَنُو قَيْنُقَاعَ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ، وَأَعْطَى إِلَى عَمِّهِ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ اللِّوَاءَ، فَحَاصَرَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَأَجْلَاهُمْ عَنِ المَدِينَةِ.

اسْتِشْهَادُ الحَمْزَةِ

مَا كَادَ يَسْتَدِيرُ العَامُ عَلَى بَدْرٍ حَتَّى خَرَجَتْ قُرَيْشٌ حَاقِدَةً

---

(١) أخذا بعدئذٍ من عبد الرحمن بن عوف وقتلا بعد أن عرفهما بلال فصرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، فأحاط المسلمون بهما، ولم يستطع عبد الرحمن بن عوف الدفاع عنهما.

نَاقِمَةً ثَائِرَةً، قد جَمَعَتْ سِلاَحَهَا وَأَعْدَادَهَا وَمَا اسْتَطَاعَتْ ضَمَّهُ إِلَيْهَا مِنْ رِجَالِ القَبَائِلِ وَالأَحْلاَفِ وَمَنْ وَالاَهَا وَكُلَّ مَنْ سَارَ بِرَأْيِهَا، وَاتَّجَهَتْ نَحْوَ المَدِينَةِ تُرِيدُ الثَّأْرَ، وَإِزَالَةَ كِيَانِ الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ الفَتِيَّةِ مِنْ جُذُورِهِ إِنْ تَمَكَّنَتْ مِنْ ذَلِكَ. وَوَصَلَتْ تِلْكَ الجُمُوعُ إِلَى شَمَالِ المَدِينَةِ وَنَزَلَتْ «مَجْمَعَ الأَسْيَالِ» بِالقُرْبِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ إِلَى الغَرْبِ أَوِ الجَنُوبِ الغَرْبِيِّ مِنْهُ.

وَتَرَدَّدَتْ أَصْدَاءُ تِلْكَ الحَمْلَةِ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الاعْتِصَامَ فِي المَدِينَةِ، وَمُقَاتَلَةَ الأَعْدَاءِ مِنْ دَاخِلِهَا، غَيْرَ أَنَّ حَمَاسَةَ الشَّبَابِ، وَحُبَّ الجِهَادِ، وَالرَّغْبَةَ فِي الشَّهَادَةِ، وَالخَوْفَ مِنَ ارْتِفَاعِ مَعْنَوِيَّاتِ قُرَيْشٍ لِظَنِّهَا أَنَّ المُسْلِمِينَ قَدْ جَبُنُوا عَنِ الخُرُوجِ لِلنِّزَالِ كُلُّ ذَلِكَ قَدْ دَفَعَ بَعْضَهُمْ لإِبْدَاءِ رَأْيِهِمْ بِالخُرُوجِ وَرُبَّمَا كَانَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ أَحَدَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يُبْدِيَ وَجْهَةَ نَظَرٍ تُخَالِفُ رَأْياً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ كَانَتِ الرُّجُولَةُ وَالشَّهَامَةُ وَالرَّغْبَةُ فِي قِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ خَارِجَ المَدِينَةِ تَبْدُو كُلُّها عَلَيْهِ.

وَقَرَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الخُرُوجَ لِلِقَاءِ

الأَعْدَاءِ خَارِجَ المَدِينَةِ وَحَيْثُ يُعَسْكِرُونَ، وَتَحَرَّكَ نَحْوَهُمْ، وَوَصَلَ إِلَيْهِمْ، وَالتَقَى الجَمْعَانِ، وَاحْتَدَمَ القِتَالُ، وَكَانَ حَمْزَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُقَاتِلُ يَوْمَئِذٍ بِسَيْفَيْنِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ يُقْبِلُ وَيُدْبِرُ، وَيَقُولُ: أَنَا أَسَدُ اللَّهِ.

وَقَاتَلَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَتَلَ عُثْمَانَ بنَ أَبِي طَلْحَةَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَقَتَلَ أَرْطَأَةَ بنَ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ أَيْضاً، وَكَانَ أَحَدَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ لِوَاءَ المُشْرِكِينَ، وَقَتَلَ عَمْرَو بنَ نَضْلَةَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سِبَاعُ بنُ عَبْدِ العُزَّى، وَكَانَ يُكَنَّى بِأَبِي نِيَار، فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابنَ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ[1]، فَلَمَّا التَقَيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَه، ثُمَّ تَعَثَّرَ حَمْزَةُ فَكَانَ أَنْ رَمَاهُ وَحْشِيٌّ بِحَرْبَتِهِ فَوَقَعَتْ فِي ثُنَّتِهِ[2] فَقَتَلَتْهُ. يَقُولُ وَحْشِيٌّ: وَاللَّهِ إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى حَمْزَةَ يَهُدُّ النَّاسَ بِسَيْفِهِ مَا يُلِيقُ[3] بِهِ شَيْئاً مِثْلَ الجَمَلِ الأَوْرَقِ[4]، إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بنُ عَبْدِ العُزَّى، فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ،

---

(١) كانت أمّه أمّ أنمار ختّانة بمكّة، وهي مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثّقفيّ.
(٢) الثنّة: من أسفل البطن إلى العانة.
(٣) ما يُليق: ما يُبقي.
(٤) الأورق: ذو اللون الأغبر.

فَضَرَبهُ ضَرْبَةً فَكَأَنَّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ، وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، فَأَقْبَلَ نَحْوِي، فَغُلِبَ فَوَقَعَ، وَأَمْهَلْتُهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِئْتُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إِلَى العَسْكَرِ، وَلَمْ تَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حَاجَةٌ غَيْرَهُ.

وَحَدَّثَ وَحْشِيٌّ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ عَدِيِّ بنِ الخِيَارِ، وَجَعْفَرَ بنَ عَمْرِو بنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ فِي حِمْصَ، فَقَالَ: كُنْتُ غُلامَاً لِجُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ، وَكَانَ عَمُّهُ طُعَيْمَةُ بنُ عَدِيٍّ قَدْ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا سَارَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أُحُدٍ، قَالَ لِي جُبَيْرٌ إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ عَمَّ مُحَمَّدٍ بِعَمِّي فَأَنْتَ عَتِيقٌ؛ قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، وَكُنْتُ رَجُلاً حَبَشِيّاً أَقْذِفُ بِالحَرْبَةِ قَذْفَ الحَبَشَةِ، قَلَّمَا أُخْطِىءُ بِهَا شَيْئاً، فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ خَرَجْتُ أَنْظُرُ حَمْزَةَ وَأَتَبَصَّرُهُ، حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عُرْضِ النَّاسِ مِثْلَ الجَمَلِ الأَوْرَقِ، يَهُدُّ النَّاسَ بِسَيْفِهِ هَدّاً، مَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَتَهَيَّأُ لَهُ، أُرِيدُهُ وَأَسْتَتِرُ مِنْهُ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ لِيَدْنُوَ مِنِّي، إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بنُ عَبْدِ العُزَّى، فَلَمَّا رَآهُ حَمْزَةُ قَالَ لَهُ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ. قَالَ: فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً كَأَنَّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ. قَالَ: وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي، حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا،

دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنَّتِهِ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، وَذَهَبَ لِيَنُوءَ نَحْوِي، فَغُلِبَ فَتَرَكْتُهُ وَإِيَّاهَا حَتَّى مَاتَ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى العَسْكَرِ، فَقَعَدْتُ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بِغَيْرِهِ حَاجَةٌ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لأُعْتَقَ. فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ أُعْتِقْتُ، ثُمَّ أَقَمْتُ، حَتَّى إِذَا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَمَكَثْتُ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجَ وَفْدُ الطَّائِفِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيُسْلِمُوا تَعَيَّتْ عَلَيَّ المَذَاهِبُ، فَقُلْتُ: أَلْحَقُ بِالشَّامِ، أَوِ اليَمَنِ، أَوْ بِبَعْضِ البِلاَدِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي ذَلِكَ مِنْ هَمِّي إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَقْتُلُ أَحَداً مِنَ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَتَهُ.

فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المَدِينَةَ، فَلَمْ يَرُعْهُ إِلاَّ بِي قَائِماً عَلَى رَأْسِهِ أَتَشَهَّدُ بِشَهَادَةِ الحَقِّ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: أَوَحْشِيٌّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: اقْعُدْ فَحَدِّثْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؛ قَالَ فَحَدَّثْتُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمَا، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ حَدِيثِي، قَالَ: وَيْحَكَ! غَيِّبْ عَنِّي وَجْهَكَ، فَلاَ أُرَيَنَّكَ. قَالَ: فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ كَانَ، لِئَلاَّ يَرَانِي حَتَّى

قَبَضَهُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

فَلَمَّا انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ وَتَرَاجَعُوا، وَأَصَابَ فِيهِمُ العَدُوُّ، قَامَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ وَالنِّسْوَةُ اللاَّتِي مَعَهَا يُمَثِّلْنَ بِالقَتْلَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُجَدِّعْنَ الآذَانَ وَالأُنُفَ، وَأَعْطَتْ قَلاَئِدَهَا وَحُلِيَّهَا وَحْشِيّاً غُلاَمَ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، وَبَقَرَتْ عَنْ كَبِدِ حَمْزَةَ، فَلاَكَتْهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُسِيغَهَا، فَلَفَظَتْهَا، ثُمَّ عَلَتْ عَلَى صَخْرَةٍ مُشْرِفَةٍ، فَصَرَخَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا فَقَالَتْ:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ
وَالحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ
وَلاَ أَخِي وَعَمِّهِ وَبِكْرِي[2]

---

(١) وخرج وحشي مع المجاهدين لقتال المرتدين، وكانت جهته اليمامة، وقتل مسيلمة الكذّاب، وكان يقول: قتلت خير النّاس بعد رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وقد قتلت شرّ الناس. ثم خرج إلى الشام وأقام في حمص. وكان مدمناً على الخمر، ولم يزل يحدّ فيها حتى خلع من الديوان، فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة.

(٢) عتبة بن ربيعة: أبو هند، وأخوها الوليد بن عتبة، وعمّها شيبة، وبكرها: حنظلة بن أبي سفيان وقد قتل حمزة عمّها شيبة وشارك في قتل أبيها عتبة وبكرها حنظلة. =

شَـفَيْتُ نَفْسِـي، وَقَضَيْتُ نَذْرِي
شَـفَيْتَ وَحْشِـيُّ غَلِيلَ صَدْرِي
فَشُـكْرُ وَحْشِـيٍّ عَلَـى عُمْرِي
حَتَّـى تَرِمَّ أَعْظُمِـي فِي قَبْرِي

فَأَجَابَتْهَا هِنْدُ بِنْتُ أُثَاثَةَ بنِ عَبَّادِ بنِ المُطَّلِبِ، فَقَالَتْ:

خَـزِيتِ فِي بَدْرٍ وَبَعْـدَ بَدْرِ
يَا بِنْـتَ وَقَّـاعٍ عَظِيـمِ الكُفْرِ
صَبَّحَـكِ اللَّـهُ غَدَاةَ الفَجْرِ
مِلْهَاشِـمِيِّينَ الطِّـوَالِ الزُّهْرِ
بِـكُلِّ قَطَّـاعٍ حُسَـامٍ يَفْرِي
حَمْـزَةُ لَيْثِـي وَعَلِـيٌّ صَقْرِي[1]
إِذْ رَامَ شَيْبُ وَأَبُـوكِ غَدْرِي
فَخَضَّبَـا مِنْـهُ نَوَاحِـيَ النَّحْرِ
وَنَذْرُكِ السُّوءُ فَشَرُّ نَذْرِ

= ثم أسلمت يوم فتح مكة، وبايعت رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، وحسن إسلامها، وإسلام زوجها أبي سفيان، وهي أم معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهم جميعاً.

(١) قتل عليّ بن أبي طالب: الوليد بن عتبة، أخا هندٍ، وشارك حمزة في قتل أبيها عتبة، وشارك حمزة وزيداً في قتل ابنها البكر حنظلة.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَلْتَمِسُ حَمْزَةَ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَوجَدَهُ بِبطْنِ الوَادِي قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ، وَمُثِّلَ بِهِ، فَجُدِعَ أَنْفُهُ وَأُذُنَاهُ، فَقَالَ حِينَ رَأَى مَا رَأَى: «لَوْلاَ أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةُ، وَيَكُونَ سُنَّةً مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ، حَتَّى يَكُونَ فِي بُطُونِ السِّبَاعِ، وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ، وَلَئِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ المَوَاطِنِ لأُمَثِّلَنَّ بِثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ». فَلَمَّا رَأَى المُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَغَيْظِهِ عَلَى مَنْ فَعَلَ بِعَمِّهِ مَا فَعَلَ، قَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرَنَا اللَّهُ بِهِمْ يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ.

وَلَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَمْزَةَ قَالَ: لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَداً! مَا وَقَفْتُ مَوْقِفاً قَطُّ أَغْيَظَ إِليَّ مِنْ هَذَا! ثُمَّ قَالَ: جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ حَمْزَةَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ: حَمْزَةُ أَسَدُ اللَّهِ، وَأَسَدُ رَسُولِهِ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي المُثْلَةِ، مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ

وَمَا صَبْرُكَ إلاَّ بِاللَّهِ، وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[1]. فَعَفَا رَسُولُ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، وَصَبَرَ وَنَهَى عَنِ المُثْلَةِ. وَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَهَا مِنْ مَقَامٍ قَطُّ وفَارَقَهُ، حَتَّى يَأْمُرَ بِالصَّدَقَةِ وَيَنْهَى عَنِ المُثْلَةِ.

وَأَقْبَلَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ لِتَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَكَانَ شَقِيقَـاً لَهَا، فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، لاِبْنِهَـا الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ: القَهَا فَأَرْجِعْهَا لاَ تَرَى مَا بِأَخِيهَا؛ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّهْ، إنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْمُرُكِ أَنْ تَرْجِعِي، قَالَتَ: وَلِمْ؟ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّه قَدْ مُثِّلَ بِأَخِي، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ، فَمَا أَرْضَانَا بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ! لأَحْتَسِبَنَّ وَلأَصْبِرَنْ - إنْ شَاءَ اللَّهُ - فَلَمَّا جَاءَ الزُّبَيْرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ؛ قَالَ: خَلِّ سَبِيلَهَا، فَأَتَتْهُ، فَنَظَرتْ إِلَيْهِ، فَصَلَّتْ عَلَيْهِ، وَاسْتَرْجَعَتْ، وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدُفِنَ. وَكُفِّنَ فِي نَمِـرَةٍ إِذَا خُمِّرَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا خُمِّرَتْ رِجْلاَهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَلَـمْ يُصَـلِّ عَلَـى أَحَـدٍ مِنَ الشُّهَـدَاءِ. وَقَـالَ: «وَأَنَـا شَهِيدٌ

---

(١) سورة النحل: الآيتان ١٢٦ و ١٢٧.

عَلَيْكُمْ»، وَكَانَ يَجْمَعُ الثَّلاَثَةَ فِي قَبْرٍ، وَالاثْنَيْنِ، وَيَسْأَلُ: أَيُّهُمَا أَكْثَرُ قُرْآنَاً فَيُقَدِّمُهُ فِي اللَّحْدِ، وَكُفِّنَ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلاَثَةَ فِي ثَوْبٍ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَّى عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ صَلاَتَهُ عَلَى المَيِّتِ. فَهَذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَيَّامٍ[1].

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ صَلَّى عَلَى حَمْزَةَ، ثُمَّ أَمَرَ بِالقَتْلَى، فَجَعَلَ يُصَلِّي عَلَى الوَاحِدِ مِنْهُمْ بِسَبْعِ تَكْبِيرَاتٍ وَيُرْفَعُ وَيُتْرَكُ حَمْزَةُ، حَتَّى صَلَّى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ صَلاَةً حَيْثُ فَرَغَ مِنْهُمْ[2].

وَقَدْ دُفِنَ حَمْزَةُ وَابْنُ أُخْتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ[3] فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَاجِعَاً إِلَى المَدِينَةِ. فَلَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَلَمَّا لَقِيتِ النَّاسَ نُعِيَ إِلَيْهَا أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ لَهَا خَالُهَا حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَاسْتَرْجَعَتْ

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد، والبيهقي.
(٢) ضعيف.
(٣) عبدالله بن جحش: أمه أميمة بنت عبد المطلب، أخت حمزة.

وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ إِلَيْهَا زَوْجُهَا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، فَصَاحَتْ وَوَلْوَلَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ! لِمَا رَأَى مِنْ تَثَبُّتِهَا عِنْدَ أَخِيهَا وَخَالِهَا، وَصِيَاحِهَا عَلَى زَوْجِهَا.

وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِدَارٍ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ وَظَفَرٍ، فَسَمِعَ النَّوَائِحَ وَالْبُكَاءَ عَلَى قَتْلاَهُمْ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: لَكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ! فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بنُ الحضَيْرِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ أَمَرَا نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَزَّمْنَ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ عَلَى عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بُكَاءَهُنَّ عَلَى حَمْزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ، وَهُنَّ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْنَ يَرْحَمْكُنَّ اللَّهُ، فَقَدْ آسَيْتُنَّ بِأَنْفُسِكُنَّ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ الأَنْصَارَ! فَإِنَّ الْمُوَاسَاةَ مِنْهُمْ مَا عَتِمَتْ لَقَدِيمَةٌ، مُرُوهُنَّ فَلْيَنْصَرِفْنَ.

وَنَهَى يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّوْحِ.

الخَاتِمَةُ

اسْتُشْهِدَ حَمْزَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ ابنُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، فَكَانَ أَسَنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَرْبَعِ سِنِينَ. وَكَان رَجُلاً لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالقَصِيرِ.

كَانَ اسْتِشْهَادُ حَمْزَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَاجِعَةً كَبِيرَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَنَصْرَاً عَظِيماً لِلْمُشْرِكِينَ، فَهُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَلاَذاً قَوِيّاً لِلْمُسْلِمِينَ وَقتَ الشِّدَّةِ، فَقَدْ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي مَكَّةَ، وَنَصرَهُمْ بِبِسَالَتِهِ وَأَمْثَالِهِ فِي المَدِينَةِ، فَكَانَ بَطَلَهُمْ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ، وَأَمَامَهُمْ فِي النِّزَالِ، وَكَانَ شَوْكَةً فِي عَيْنِ المُشْرِكِينَ ذَاقُوا مِنْهُ الوَيْلاَتِ فَقَدَ حَطَّمَ غُرُورَهُمْ بِقَتْلِ صَنَادِيدِهِمْ إِذْ لَمْ يَقِفْ أَمَامَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ قَتَلَهُ، وَلَمْ يَبْرُزْ لَهُ فَارِسٌ مِنْهُمْ إِلاَّ صَرَعَهُ، لِذَا لَيْسَ غَرِيباً أَنْ يَفْخَرَ المُسْلِمُونَ بِشَجَاعَتِهِ وَيُبَاهُونَ المُشْرِكِينَ بِهِ، وَيَبْكُونَهُ، وَيَرْثِيهِ شُعَرَاؤُهُمْ بِأَحَرِّ قَصَائِدِهِمْ وَأَصْدَقِهَا، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ لَيْسَ غَرِيباً أَنْ يَبْتَهِجَ المُشْرِكُونَ بِقَتْلِهِ، وَيَفْرَحُونَ بِمَصْرَعِهِ، وَيَعُدُّونَ قَتْلَهُ نَصْرَاً لَهُمْ. بَلْ إِنَّ مُعْظَمَ مَا قِيلَ مِنْ شِعْرٍ مِنْ كِلاَ الطَّرَفَيْنِ إِنَّمَا كَانَ يَدُورُ فِي هَذَا المَنْحَى وَيَذْكُرُ حَمْزَةَ، رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَيْسَ لِقُرَيْشٍ أَنْ تَفْخَرَ بِقَتْلِ حَمْزَةَ، إِذْ قُتِلَ غَدْراً، وَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى مُنَازَلَتِهِ، لِذَا فَقَدْ أَغْرَوْا بِهِ عَبْداً حَبشِيّاً، وَمَنَّوْهُ بِالعِتْقِ وَهَذَا أَكْبَرُ أُمْنِيَةٍ لَهُ وَأَعَزُّهَا عِنْدَهُ فَاغْتَالَهُ غَدْرَاً، وَقَدْ جَبُنَ أَسْيَادُهُ عَلَى مُوَاجَهَةِ ذَلِكَ الغَضَنْفَرِ، وَخَافُوا مِنْ لِقَائِهِ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَأَرْضَاهُ فَقَدْ كَانَ أُنْمُوذَجاً لِشَجَاعَةِ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.